دراسات استشراقية

فصلية تعنى بالتراث الاستشراقي عرضاً ونقداً

العتبة العباسية المقدسة

الرقم الدولي ISSN: 2409-1928 السنة الثالثة ـ العدد ٨ ـ صيف ٢٠١٦م / ١٤٣٧هـ

دراسات استشراقية

- تاريخ القرآن
  د. جميل قاسم
- القرآن في الدراسات الاستشراقية الفرنسية
  أنس الصنهاجي
- السيرة النبوية في كتاب "الإسلام عقائد ونظم"
  د. محمد العمارتي
- الغدير والتأسيس لحكومة الإمام علي عليه السلام في فكر المستشرقين
  كريم جهاد الحساني
- المستشرقة الرزينة لالاني ودراستها عن الإمام الباقر عليه السلام
  أ.د. حامد ناصر الظالمي
- تزييف المخطوط العربي لدى المستشرقين
  أ.د. حسن منديل العكيلي
- الاستعراب الياباني والقضايا المعاصرة
  د. حيدر قاسم التميمي

المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية

يعنى بالاستراتيجية الدينية و المعرفية

المستشرقة الرزينة لالاني
ودراستها عن الإمام الباقر عليه السلام

■ أ.د. حامد ناصر الظالمي

حصلت هذه المستشرقة على شهادة الدكتوراه عام ١٩٨٨، من قسم الدراسات العربية والشرق أوسطية في جامعة إدنبرة عن اطروحتها حول الإمام الباقر عليه السلام والموسومة بـ(الفكر الشيعي المبكر تعاليم الإمام محمد الباقر عليه السلام) وكان المشرف على هذه الأطروحة الدكتور ايان هوارد، والدكتورة لالاني من الباحثات في معهد الدراسات الإسماعيلية في لندن، وحاز عملها هذا على جوائز عديدة في لندن وإيران وتُرجِمَ إلى لغات متعددة ومنها العربية. إذ قام سيف الدين قصير بذلك ونشرتها دار الساقي سنة ٢٠٠٤ وهي أستاذة في كلية الدراسات الشرقية بجامعة كامبردج ومستشارة في اللغة العربية في جامعة ديمونتفورت وتحاضر في معهد الدراسات الإسماعيلية.

هذه الرسالة تُعد من الدراسات الاستشراقية المهمة عن حياةَ الإمام الباقر عليه السلام وهي معتدلة في طروحاتها ونتائجها.إذ حاولت الباحثة إثبات مجموعة من الأفكار وهي:-

١- علمية الإمام الباقر عليه السلام التي فاقت معاصريه.

٢- تسامح الإمام الباقر عليه السلام وسيرته المحمودة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣- إنه أول إمام من أئمة الشيعة قام بالتعليم المُنظَّم أو بدأ بتنظيم التعليم الشيعي ووضع الضوابط له.

٤- قام بإثبات مفاهيم الإمامة (الإمامة، العصمة، الشفاعة) في ضوء القرآن الكريم.

٥- إثبات أنّ الإمامة هي بالنص وليست بالوراثة.

٦- والأمر المهم الذي بُني عليه الكتاب هو رأي لالاني أنّ جميع المدارس الفقهية الشيعية كانت قد اتبعت تعاليم الإمام الباقر عليه السلام وكل فروعها من (إمامية وزيدية وإسماعيلية) هي من مدرسة الباقر عليه السلام تحديداً.

هذه الأمور التي ذكرناها وتبنّتها الكاتبة ارتبطت بشخصية مهمة في العالم الإسلامي من حيث النسب فهو (أي الإمام الباقر عليه السلام) أول شخص يكون جداهُ الحسن والحسين عليهما السلام معاً. فهو محمد بن علي بن الحسين بن علي عليه السلام وأمه فاطمة أم عبد الله إحدى بنات الحسن بن علي عليه السلام كانت ولادته في المدينة يوم الثلاثاء لثلاث خلون من صفر سنةَ ٥٧هـ وكان عمره ثلاث أو أربع سنين عند شهادة جده الإمام الحسين عليه السلام في واقعة كربلاء. وقد انتقلت إليه الإمامة بعد وفاه والده الإمام علي بن الحسين عليه السلام وعمره ١٩ سنة، وهي السنة الأخيرة من حكم الوليد بن يزيد.

وقد أُختِلف في سنة وفاته عليه السلام، فاليعقوبي[١] في تأريخه يرى أنها سنة ١١٧هـ. والمسعودي[٢] يقول إنّه عاش حتى سنة ١٢٥هـ، وأوردها الطبري في سنة ١٢٥هـ[٣]. ولكنه (أي الطبري) يذكر في مكان آخر وعند حديثه عن ثورة زيد بن علي أن الوفاة كانت قبل سنة ١٢٢هـ. لأن مجموعة من أتباع زيد بن علي عليه السلام تخلّت عنه وتقرّبت من جعفر الصادق[٤]. ومعلوم أنّ الإمام جعفر الصادق لم يمارس أي نشاط في حياة والده، وبهذا تكون هذه الحادثة قد حدثت بعد وفاة الإمام الباقر عليه السلام، فتقرّبت هذه الجماعة من الإمام آنذاك وهو جعفر الصادق عليه السلام سنة ١٢٢هـ.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهناك حادثة مهمة يُفترض التوقف عندها وهي إدراك جابر بن عبد الله الأنصاري ﷺ الإمام الباقر عليه السلام. إذ يوجد تناقض في روايتها فهي عند الكليني أنّ جابراً عندما كان يتجوّل ذات يوم في بعض طرق المدينة إذ مَرَّ بالكُتّاب، فلما نظر جابر إلى الباقر عليه السلام سأله أن يقبل إليه ففعل وأن يدبر ففعل الطفل ما أراد منه جابر فقالَ إنّها شمائل رسول الله والذي نفسي بيده. يا غلام ما اسمك؟ وعندما أجاب بأنه يدعى محمد بن علي بن الحسين عليه السلام أقبل إليه جابر وقبّل رأسه، وأقسم بأمه وأبيه أنّ رسول الله يُقرئه السلام[٥]. ولكن كيف رأى جابر إقبال وإدبار الإمام عليه السلام وكان جابر قد كفّ بصره آنذاك برواية القاضي النعمان في كتابه (شرح الأخبار) والرواية عكس ذلك لأن الباقر عليه السلام هو مَن يزور جابراً وهو كفيف البصر ويسأله جابر عَمَّن يكون الغلام. ولكن في كل الأحوال المراد هو لقاء جابر به.

في مقدمة كتابها ترى المستشرقة الرزينة لالاني أنّ «دراسة المذهب الشيعي واحدة من أكثر فروع الدراسات الإسلامية إهمالاً في الغرب، غير أنّ مجموعة مختارة من العلماء كرّست ابّان العقود القليلة الماضية اهتماماً جدياً بمجالات محددة من الإسلام الشيعي. ومن هذه المجموعة رولدف شتروتمن (١٨٧٧-١٩٦٠) ولويس ماسينيون (١٨٨٣-١٩٦٢) وتبعُهما هنري كوربان (١٩٠٣-١٩٧٨) وتُعد مساهمات كوربان فريدة في توفيرها فهماً عميقاً للفكر الشيعي بوجهيه الإسماعيلي والإثني عشري معاً. وفي وقت أقرب عهداً قام علماء مثل ايتان كوهلبرغ و ويلفيرد مادونغ وهاينز هالم وحسين م. جفري و موجن مومن وفرهاد دفتري و م. أ. أمير معزي وآخرون برفع مستوى فهمنا للإسلام الشيعي إلى مستوى كبير»[٦].

لا أعتقد أنّ هذا الأمر صحيح إلى حدٍ كبير فالباحثة قد ذكرت عشرة مستشرقين كبار لهم دراساتهم في مجال التشيع ويوجد عدد كبير كذلك لم تذكره الرزينة لالاني يصل الى أضعاف هذا العدد بكثير. أمثال المستشرق البريطاني داويت م. رونلدسن في كتابه المهم (عقيدة الشيعة) الذي صدر عام ١٩٣٣ وكان في الأصل

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أطروحة دكتوراه في الفلسفة أو كتابات المستشرق جولدتسهير عن عقيدة الإمام المهدي عليه السلام وغيرهما من المستشرقين المتقدمين. وقد قدّم الدكتور عبد الجبار ناجي عملاً كبيراً حول دراسات المستشرقين للتشيع في كتابه «التشيع والاستشراق عرض نقدي مقارن لدراسات المستشرقين عن العقيدة الشيعية وأئمتها»[٧] وهو عمل يقع في خمسمائة صفحة تقريباً يدرس فيه تطور الدراسات الاستشراقية للفكر الشيعي وعددها بالمئات. وعلى الرغم من وجود جوانب أُخر لم تُدرس، ولكن ما تم دراسته يعطي تصوراً واضحاً عن الشيعة لدى المفكرين الغربيين. ولكن الدراسات ازدادت فعلاً بعد الثورة الإسلامية في إيران فقد حّفز الأمر الباحثين والمستشرقين الجُدَد على دراسة التشيع من جميع الجوانب هذه المرة وخاصة من الجوانب التي لم تكن تُدرس في السابق ألا وهي النظريات السياسية وحكم الدولة والاقتصادية والأموال وغيرها فظهرت مثلاً دراسات المستشرق والسياسي الأمريكي من أصل إيراني ولي نصر وهي بعنوان «الإنبعاث الشيعي»[٨] ودراسة جرهارد كونستلمان المستشرق الألماني وهي بعنوان «سطوع نجم الشيعة»[٩] ودراسة فرانسوا تويال«الشيعة في العالم صحوة المستبعدين»[١٠] ودراسة المستشرق نيكولاس بلانفورد وهي بعنوان«المارد الشيعي يخرج من القمقم ٣٠ عاماً من الصراع بين حزب الله وإسرائيل»[١١] وهي دراسة عن حزب الله اللبناني. ودراسة الباحث الياباني داي يامو من جامعة كيوشو عن تأريخ الأحزاب الإسلامية في العراق التحول في حزب الدعوة(١٩٥٧-٢٠٠٩)[١٢] ودراسة المستشرق العبري الأصل يستحق نقاش عن«شيعة العراق»[١٣].

وعندما نأتي إلى دراسة لالاني نجدها دراسة أكاديمية متزنة فيها أراء تستند إلى أدلة عديدة وأحكام مهمة فهي تقول عن الإمام الباقر عليه السلام : «كان الباقر عليه السلام معاصراً أصغر سناً من الرجال السبعة للفقه في المدينة، سعيد بن المُسيب، وعروة بن الزبير وأبي بكر عبد الرحمن، وعبيد الله بن عبد الله بن عُتبه وخارجة بن زياد بن ثابت وسليمان بن يسار وقاسم بن محمد بن أبي بكر الذي كان حما الباقر عليه السلام ، كما كان معاصراً أكبر سناً

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أيضاً لعلماء مثل مالك بن أنس، وابن عُيينة وابن أبي ليلى، وأبي حنيفة وسفيان الثوري، والأوزاعي، وقد وقف الباقر عليه السلام نداً إنْ لم يكن متفوقاً لهؤلاء العلماء البارزين وطبقاً لبعض العلماء فإنه لم يُنظر إليه على أنه واحد من بين علماء متميزين كثيرين من عصره، بل تفوق عليهم جميعاً بدرجة كبيرة»(١٤). هذه المنزلة العلمية للإمام الباقر عليه السلام بين معاصريه أو سابقيه أو لاحقيه تمتّع بها كونه وريثاً لعلم آل بيت الرسول صلى الله عليه وآله ولتسامحه واستيعابه كل الطبقات لذلك لم يتَحدَّث بسوء عن أي شخص أو خليفة بل كان يوصي بحب الخلفاء السابقين وذكرهم بالخير والاستغفار لهم وهذا ما ذكرته الكتب غير الشيعية كذلك كتأريخ الذهبي(١٥)، وحيلة الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني(١٦)، وطبقات ابن سعد(١٧)، قبل أن تذكره كتب الشيعة باتجاهاتها الثلاث التي تعلّمت من فقه وعلم الإمام الباقر عليه السلام.

اهتم الإمام الباقر عليه السلام كما هو معروف من اسمه بالعلوم وحاول تنظيم التعليم الإسلامي لذلك توصّلت لالاني إلى رأي جدير بالاهتمام بقولها: «إنّ الباقر عليه السلام لعب دوراً هاماً في التأريخ من كلتي وجهتي النظر الدينية والفكرية، وعلى الرغم من امتناعه عن المشاركة في السياسة النشطة إلاّ أنّ يبرز كقائد حاذق وعالم متضلع ليس فقط في مسائل الشعائر والطقوس بل أيضاً في تفسير القرآن، والأحاديث النبوية ومسائل تتعلّق بالفقه إلى جانب موضوعات ذات طبيعة تنتمي إلى العالمين الروحاني والدنيوي معاً، في حين لم يكن التعليم الشيعي قد اتخذ قبل زمن الباقر عليه السلام شكله الخاص به، هذا وقد شهدت حياة الباقر عليه السلام ازدهار العلم في حقول متنوعة حيث لعبت دوراً في هذه المسيرة التأريخية وهذا ما شهد عليه العدد الكبير من الأحاديث التي أُسندت روايتها إليه، كما كان أيضاً أول معلم شيعي يشترك في تعليمٍ منظم»(١٨).

هذه المدرسة الفقهية التي بدأ بتكوينها الإمام الباقر عليه السلام هي مدرسة متسامحة مؤثرة ومتأثرة بالمذاهب الفقهية الأُخر المعاصرة كما مرّ بنا. وليست في حالة انقطاع وانكفاء عن بعضها البعض وخاصة فيما يتعلق بالفقه في المدارس الشيعية على الرغم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من عدم وجود كتاب محدد للإمام الباقرعليه السلام في الأحكام الفقهية وطرق الاستدلال ولكن يُعد مرجعاً للفقه الشيعي بكل اتجاهاته، تقول لالاني: «وليس هناك مبالغة في دور الباقرعليه السلام في الفقه إذ يبدو أنّ الفقه الزيدي(*)، ليس وحده الذي استمد منه، بل هناك أيضاً الفقهان الإسماعيلي(**) والإثنا عشري(***). اللذان دوّن كلاهما أحاديث كثيرة في الفقه مُستَمدة من الباقرعليه السلام ويعتبرانه بمنزلة الأب لفقهيهما وبما إن الفقه الزيدي الذي تم تصنيفه في اليمن في نهاية الأمر والفقه الإسماعيلي المُصَّنف في مصر والفقه الاثني عشري المُصَّنف في بغداد وقُم، كلها تعود في أصلها إلى هذه الشخصية الواحدة فلا يبقى هناك سوى مجال ضئيل للشك في دوره المؤسس والريادي»(١٩)، بل حتى في الجانب السياسي والاقتصادي يُنظر إلى الإمام الباقرعليه السلام، أنّه كان متسامحاً ويقدم نصائحه لَمَنْ يحتاجها، إذ يذكر البيهقي في (المحاسن والمساوئ) اعتماد عبد الملك بن مروان على الإمام الباقرعليه السلام بشان النقود الذهبية التي توعّد إمبراطور البيزنطيين عبد الملك أنه سيبدلها بسكةٍ في غير صالح الأمويين، فقد وفرّ له الإمام الباقرعليه السلام حلًّا ومخرجاً أنقذه من ذلك الأمر(٢٠).

ويستمر منهج الإمام الباقرعليه السلام وابنه الصادقعليه السلام في موضوع رفض الأحاديث الموضوعة وتدوين الصحيح منها وروايتها وعدم القبول بالاتجاهات المغالية، حتى في المذهب الإمامي، ولذلك ترى لالاني «أنّ مؤسسة الإمامة هي مؤسسة وراثية في طبيعتها ولم تكن لتعتمد على خروج الإمام، وكان الباقرعليه السلام يعمل على إدخال فكرة الإمامة المسالمة – غير الثائرة –»(٢١) وعلى الرغم من الخلاف حول هذا المبدأ بين الاسماعليين والزيدية من جهة ومدرسة الباقرعليه السلام و الصادقعليه السلام من جهة أخرى إلاّ إنّ«الفقه الإسماعيلي الذي تقونن على يد القاضي النعمان بعد أكثر من قرنين من الزمن، اعتمد على أحاديث منقولة عن الباقرعليه السلام والصادقعليه السلام بشكل أساسي واعتمد الفقه الزيدي على الباقرعليه السلام إلى حدٍ كبير ولذلك لن نكون مبالغين، إذا ما قلنا إنّ الباقرعليه السلام هو أبو الفقه الشيعي وإنّ تأثيره لايزال محسوساً في الدوائر

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الشيعية حتى يومنا هذا»[٢٢]. وهذا ما نجده في موضوعات اتفقت تلك المذاهب عليها ومنها كما تقول لالاني «ما وصلنا من أحاديث الباقر عليه السلام من المصادر الشيعية الثلاثة كلها الزيدية والإسماعيلية(**) والاثني عشرية(***)، تشير إلى أنّ التحريم الشيعي للمسح على الخفين يعود إلى زمن الباقر عليه السلام»[٢٣]، بل ومن الأمور الفقهية المهمة والتي يطرحها أحد الدارسين لمباني الفكر الشيعي وهو الدكتور حسين مدرسي طباطبائي، وهو من أصول إيرانية وكتابُه المكتوب باللغة الإنكليزية أصلاً والمترجم إلى العربية والمنشور في إيران وعنوانه (تطور المباني الفكرية للتشيع) يرى وفقاً لاستدلالاته أنّه «لم يكن الأئمة الأوائل بما فيهم الإمامان الباقر(*) والصادق(**) يأخذون الخُمس من أتباعهم، وكان الاعتقاد السائد هو أنّ هذه الضريبة سوف يأخذها قائم آل محمد بعد أن يُقيم دولته(***)، بديلاً عن الضرائب التي تفرضها الحكومات الظالمة لا إضافة لها. ويبدو أنّ الجباية الثابتة والمنظمة لهذه الضريبة باعتبارها فريضة مالية عامة بدأت منذ العام ٢٢٠هـ عندما أصدر الإمام الجواد عليه السلام أمراً خطياً إلى وكلائه في البلاد يطلب فيه منهم جباية الخمس(****). في أنواع خاصة من عائدات الدخل السنوي، وقد أكّد الإمام في ذلك الأمر أنه سيأخذ الخمس في تلك السنة فقط لأسباب لم يرغب في كشفها وصادفت تلك السنة آخر سنوات عمره الشريف، ولعلَّ السبب كان سدّ العجز المالي لبعض أفراد البيت النبوي وتدل الوثائق التأريخية بعد ذلك على أنّ السنوات الأخيرة من إمامة الإمام المهدي عليه السلام شهدت جباية مستمرة ودقيقة للخمس قامت بها شبكة فائقة التنظيم من وكلاء الإمام في شتى أنحاء العالم الإسلامي(*****)»[٢٤].

قد يكون هذا الاستنتاج غير دقيق وإلاّ لو كان الأمر قد حدث لسنة واحدة فلماذا يستمر الإمام القادم بعد الجواد عليه السلام وهو ابنه الهادي عليه السلام، بالتأكيد على هذا الموضوع والاستمرار به والتدقيق فيه.

أما أهم ما كان في كتاب الرزينة لالاني عن الإمام الباقر عليه السلام هو تأكيدها على

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تأصيل فكرة الإمامة في الفكر الشيعي قرآنياً على يد الإمام الباقر عليه السلام وهذا الأمر أكّده فيما سبق المستشرق كوهلبرغ في بحثه المعنون محمد الباقر عليه السلام في دائرة المعارف الإسلامية بقوله «إنّ الإمام يُعّد الأول من بين الأئمة في تشكيل وبناء ما صار يعرف بالعقائد الأساسية للمذهب الاثني عشري أي بما يتعلق بوضع نظرية لمبدأ النص في الإمامة وفي أصول الفقه الامامي»(٢٥). ولذلك تابعت الرزنية لالاني أقوال الإمام الباقر عليه السلام في هذا الموضوع وأفردت لها الفصل الثالث من كتابها من ص ٨٩-١٢١ ومن ذلك حديثه عن قوله تعالى: «إنّما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويأتون الزكاة وهم راكعون»(٢٦)، تقول لالاني: «يجزم الباقر عليه السلام في تعليقه على الآية أنّها نزلت بشكلٍ قاطع في الوقت الذي كان فيه الرسول صلى الله عليه وآله مع مجموعة من اليهود وكان عبد الله بن سلام من بين هؤلاء الحاضرين(*) وما أن نزلت الآية حتى نهض الرسول صلى الله عليه وآله وسار إلى المسجد حيث قابل متسّولاً وعندما سأله الرسول عمّا إذا كان أحدٌ ما قد أعطاه شيئاً. أشار المتسول إلى رجلٍ كان لايزال يصلي، أما الرجل فكان علياً»(٢٧).

وآية ثانية هي قوله تعالى: «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً»(٢٨) تقول لالاني: «أما موقف الباقر عليه السلام بخصوص الآية الواردة في مختلف المصادر الشيعية(*) فهو واضح جداً لقد نزلت هذه الآية كما يقول بمناسبة تعيين علي إماماً في غدير خُم»(٢٩).

وآية ثالثة هي قوله تعالى: «يا أيُّها الذين امنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول صلى الله عليه وآله وأولي الأمر منكم..»(٣٠) تقول لالاني عن تفسير الباقر عليه السلام لهذه الآية «هذه الآية المثيرة للجدل أكثر من تلك التي سبق ذكرها حيث إن المشكل الواضح هنا هو هوية ولي الأمر... أما تفسير الباقر عليه السلام(*) لهذه الآية فهو أنّ أولي الأمر هم الأئمة من آل بيت محمد»(٣١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وعن قوله تعالى: «فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم مُلكاً عظيماً»[٣٢] تقول لالاني «تفسير الباقر عليه السلام أي جعلنا منهم رسلاً وأنبياء وأئمة... وأن الله جعل من بينهم قادة طاعتهم مساوية لطاعة الله وعصيانهم مساوٍ لعصيان الله ويتساءل الباقر عليه السلام (*) كيف يمكن للناس قبول هذا المركز لآل إبراهيم وإنكاره لآل محمد ؟»[٣٣].

وعن قوله: « وما يعلم تأويله إلاّ الله والراسخون في العلم»[٣٤] تقول لالاني عن تفسير الإمام الباقر عليه السلام لهذه الآية: « يقول الباقر عليه السلام (*) في تعليقه على هذه الآية إنّ الرسول صلى الله عليه وآله كان أفضل أولئك الراسخين في العلم فقد علّمه الله كل ما يتعلق بما أنزله إليه وكيف يفسّره، أما الأئمة فهم الذين يعلمون من بعده كل تفاسير القرآن. والأئمة هم وفقاً لتأويله للآية «ثم أورثنا الكتاب الذي اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم سابقٌ بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير»[٣٥] فالقوم الذين يسبقون الآخرين في فعل الخيرات هم الأئمة وأولئك الذين يتبعون الطريق الوسط الذين يُقرّون بحق الإمام.

أما أولئك الذين لا يظلمون أنفسهم فهم القوم الذين يقرّون بحق الإمام و أما أولئك الذين يظلمون أنفسهم فهم القوم الذين لايعترفون بالأئمة ويُبين الباقر عليه السلام في اختتامه هذا العرض الطويل للإشارات القرآنية إلى الأئمة»[٣٦].

وعن قوله تعالى: «قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القُربى»[٣٧] تشرح لالاني تفسير الإمام الباقر عليه السلام لهذه الآية فتقول: «يجزم الباقر عليه السلام أنّ طاعته ليست حقاً على المؤمنين فحسب ولكن واجب مفروض على المتعبدين وفقاً لما ورد وأنّ الأمة تختلف حول تأويل هذه الآية فهناك أربع فئات تعتقد كل واحدة منها بآراء متباينة:-

١- تعتقد فئة منها أنّ هذه الآية قد نزلت في آل البيت .

٢- على حين تؤكد الفئة الثانية أنّها نُسخت بآية أخرى «قُلْ ما سألتكم من

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أجر فهو لكم إنْ أجري إلاّ على الله وهو على كل شيء شهيد»[٣٨]، يحتج الباقرعليه السلام في نقضه لموقفهم هذا بأنّ هذه الآية يمكن أن تكون قد نزلت فقط، أما قبل الآية الأولى أو بعدها، فإذا كانت قد نزلت قبلها، فمن الواضح إذاً أنّها لا يمكن أن تلغي أو تنسخ الآية التي نزلت بعدها، أما إذا كانت قد نزلت بعد آية (المودة في القربى) فتكون الآية الأخيرة إذاً أكثر توكيداً لأن المودة في القربى التي سألها النبي من المؤمنين لا تنفع النبي وحده فحسب بل المؤمنين أيضاً ومن هنا جاء في الآية «قُل ما سألتكم من أجرٍ فهو لكم».

٣- وتعتقد الفئة الثالثة وفقاً للباقرعليه السلام أنّ المقصود بهذه الآية هم العرب جميعاً لأنه كان للنبي قرابة مع كل بيت عربي وقالوا إن النبي سألهم أن يحبوه عبر هؤلاء ويحتج الباقرعليه السلام بأنه إذا كان الذين سألهم النبي مؤمنين فإنّهم سيحبونه إذاً لإيمانهم واعتقادهم به، فلماذا سيكافئهم الله على ذلك ؟ أما إذا كان الذين يخاطبهم كفاراً فكيف سيكافئهم الله على شيء لا يؤمنون به؟

ويقول الباقرعليه السلام علاوة على ذلك إن حصر (المؤمنين) بالعرب وحدهم هو جهل منهم إضافة إلى أنّه يتضمن شيئاً من التطاول والغرور بل إنّه تحريف في تأويل كتاب الله وتشويه لكلماته لأن الآية تخاطب جميع المؤمنين العرب وغير العرب وكل أولئك الذين يؤمنون بالله وبالرسول مُكلَّفون بحب أقارب نبيّه .

٤- وترى الفئة الرابعة. وهي التي أسست نفسها على رواية عن الحسن البصري أنّ هذه الآية تعني تحقيق القرب من الله من خلال طاعته، ويعبّر الباقرعليه السلام عن سخطه تجاه ذلك داعياً الحسن البصري بـ (المُحرِّف لكلام الله) ومشيراً إلى تأويله بأنه بعيد عن الحقيقة، ورأى أنّه إذا كان ذلك فعلاً هو التأويل فإنّ كلمتي المودّة والأجر الواردتين في الآية، تصبحان من دون معنى»[٣٩] .

وعن عبارة نور الله الوارد ذكرها في آيات من القرآن الكريم كقوله تعالى

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿**فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلناه**﴾[٤٠] والآية «ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به...»[٤١] يقول الباقرعليه السلام: النور هو الأئمة(*)، وهو رأيه نفسه في قوله تعالى: « أو مَنْ كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمَنْ مثله في الظلمات ليس بخارج منها»[٤٢]، إذ يقول الباقرعليه السلام إنّ الميت يعني أولئك الذين لا يعلمون شيئاً وأنّ النور الذي يمشي به في الناس يعني الإمام الهادي أو المرشد وذلك الذي في الظلمات ليس بخارج منها يعني الذين لا يعرفون الإمام»[٤٣].

وتقول لالاني: «وفي تشديده على الطابع الوراثي للإمامة يقول الباقرعليه السلام: إنها بقيت في ذرية الأئمة(*) وهو يؤول هنا الآية «وأُولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله»[٤٤] ويرى أنّها نزلت في أبناء الحسينعليه السلام خصوصاً بينما تصف آية أخرى من هذا الصنف وراثة الإمام(*) «وجعلها كلمةً باقيةً في عقبه لعلّهم يرجعون»[٤٥].

ويتبلور هنا مفهوم العصمة عند الإمام الباقرعليه السلام عندما يشرح قوله تعالى[٤٦]: ﴿**إنّما يريد الله ليُذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً**﴾(*).

وعن فكرة الشفاعة الوثيقة الصِلة بمفهوم العصمة والإمامة ترد الآية «يوم ندعو كل أُناس بإمامهم...»[٤٧] ويفسرها الباقرعليه السلام بقوله: «إنّ المسلمين سألوا الرسول عندما نزلت، إذا لم يكن هو نفسه إماما لكل الناس، أجاب النبي بأنّه رسول الله إلى جميع الناس لكن الأئمة من بعده سيكونون من أهل بيته وسيتعرضون للاضطهاد بدلاً من القبول، أما أولئك الذين أحبّوا الأئمة واتبعوهم وآمنوا بهم فهؤلاء منه بينما أولئك الذين اضطهدوهم واتهموهم بالكذب فهؤلاء ليسوا منه وسينكرهم يوم القيامة»[٤٨]. وبهذا يطرح الإمام الباقرعليه السلام التأويلات الأُول لمفاهيم إسلامية مترابطة كالإمامة والعصمة والشفاعة وهي من أهم التأويلات التي أسس لها الباقرعليه السلام قرآنياً.

وعرضنا هنا جانباً من تلك التأويلات لمجموعة من الآيات القرآنية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من أقوال الباقر عليه السلام كما وردت في حلية الأولياء[٤٩]:

١- قال: الإيمان ثابت في القلوب واليقين خطرات، فيمّر اليقين بالقلب فيصير كأنّه زبرُ الحديد، ويخرج منه فيصير كأنه خرقة بالية.

٢- قال: ما دخل قلب امرئ شيء من الكبر إلاّ نقص من عقله مثل ما دخله من ذلك، قَلّ ذلك أو كَثُر.

٣- قال: سلاح اللئام قبح الكلام.

٤- قال: والله لموت عالم أحب إلى إبليس من موت سبعين عابداً.

٥- قال: إنك إنْ كسلت لم تؤدِ حقاً وإنْ ضجرت لم تصبر على حق.

٦- قال: إيّاكم والخصومة فإنّها تفسد القلب وتورث النفاق.

ومن أقوال الباقر عليه السلام كما وردت في طبقات ابن سعد[٥٠]:

١- قال: لا تخاصم فانّ الخصومة تكذّب القرآن.

٢- قال: لا تجالسوا أصحاب الخصومات فإنهم الذين يخوضون في آيات الله.

٣- قال: إيّاكم والضحك أو قال وكثرة الضحك، فإنّه يصبح العلم مجّاً.

*** هوامش البحث ***

١- ينظر تأريخ اليعقوبي طبعة مؤسسة الأعلمي بيروت ط١ سنة ١٩٩٣ مجلد٢/ ٢٤٨ إذ يرى أنّ وفاة أبي جعفر الباقر عليه السلام سنة ١١٧هـ وسنّه كان ٥٨ سنة.

٢- يُنظر المسعودي (مروج الذهب ومعادن الجوهر) لأبي الحسن بن الحسين المسعودي تحقيق سعيد محمد اللحام دار الفكر بيروت سنة ٢٠٠٥ إذ يقول « وفي أيام الوليد بن يزيد كانت وفاة أبي جعفر محمد ... وقد تنوزع في ذلك فمن الناس مَنْ رأى أنّ وفاته في أيام هشام وذلك سنة ١١٧هـ وهو ابن سبع وخمسين سنة».

٣- يُنظر تأريخ الطبري طبعة دار الفكر و ط٢ سنة ٢٠٠٢ إذ يقول «وتُوفي محمد بن علي في مستهل ذي القعدة وهو ابن ثلاث وستين وكان بين وفاته ووفاة أبيه سبع سنين» مجلد٨/ ٢٦٥.

٤- ينظر الطبري طبعة دار الفكر ٢/ ٢٣٥ في حوادث سنة ١٢٢هـ إذ يقول عن أتباع زيد بن علي عليه السلام: «وكانوا يزعمون أن أبا جعفر محمد بن علي أخا زيد بن علي هو الإمام، وكان قد

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هلك (أُثبِتْ هذه الكلمة رغم ما فيها من تجريح للامانة العلمية) يومئذ وكان ابنه جعفر بن محمد حياً، فقالوا جعفر إمامنا اليوم بعد أبيه وهو أحق بالأمر بعد أبيه ولا نتبع زيد بن علي فليس بإمام فسمّاهم زيد الرافضة» ويشير اليعقوبي إلى أن مقتل زيد كان سنة ١٢١هـ ينظر تأريخ اليعقوبي ٢/ ٢٥٦.

٥- يُنظر الكليني (الكافي) وعند مراجعتي للنص وجدتهُ في مجلد ١/ ٢١٨ الباب ١١٨ مولد أبي جعفر بن محمد عليه السلام فقرة رقم ١٢٧٥ و ١٢٧٦.

٦- الفكر الشيعي المبكر تعاليم الإمام محمد الباقر عليه السلام الرزينة لالاني ص١٩.

٧- صدر في بيروت منشورات المركز الأكاديمي للأبحاث بيروت سنة ٢٠١١ .

٨- الانبعاث الشيعي (كيف ستشكل الصراعات الداخلية) تعريب مختار الأسدي دار الكتب العراقية ٢٠١١.

٩- سطوع نجم الشيعة الثورة الإيرانية من ١٩٧٩ مكتبة مدبولي، مصر، ٢٠٠٤.

١٠- صدر في دار الفارابي نقله عن الفرنسية نسيب عون ط١، سنة ٢٠٠٧ .

١١- الصادر عن الدار العربية للعلوم ناشرون ترجمة حسان بستاني وزينة إدريس ط١، سنة ٢٠١٢.

١٢- صدر عن بيت الحكمة و بغداد بترجمة د.فلاح حسن الأسدي والدكتور محمود عبد الواحد محمود سنة ٢٠١٢ .

١٣- صدرت عام ١٩٩٠ وصدرت بترجمة أخرى عن دار المدى وهي في الأصل أطروحة دكتوراه كتبها في الجامعة العربية في إسرائيل .

١٤- لالاني ص ١٤٤ .

١٥- ينظر تأريخ الذهبي: ٤/ ٣٠٠.

١٦- لقد راجعت حلية الأولياء للتعرّف على النصوص فوجدتُ الباحثة صائبة فيما نقلت والنص في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني المتوفى سنة ١٩٩٦ مجلد ٣/ ص ١٨٥ جاء فيه «حدثنا محمد بن حبيش ثنا إبراهيم بن شريك الأسدي ثنا عقبة بن مكرم ثنا يونس بن بكير عن أبي عبد الله الجعفي عن عروة بن عبد الله قال: سألتُ أبا جعفر محمد بن علي عن حلية السيوف ؟ فقال لا بأس به قد حَلَّى أبو بكر الصديق رضي الله عنه سيفه، قالت قلتُ: وتقول الصديق ؟ قال: فوثب وثبة القبلة ثم قال نعم الصديق ومَنْ لم يقل له الصديق فلا صدق الله له قولاً في الدنيا والآخرة، حدثنا محمد بن علي بن حبيش ثنا أحمد بن يحيى الحلواني ثنا أحمد بن يوسف بن عمرو بن شمر عن جابر، قال: قال لي محمد بن علي: يا جابر بلغني أنّ قوماً بالعراق يزعمون أنهم يحبوننا ويتناولون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما. ويزعمون أني أمرتهم بذلك، فأبلغهم أنّي إلى الله منهم برئ والذي نفس محمدٍ بيده لو وليت

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لتقّربت إلى الله تعالى بدمائهم، لا نالتني شفاعة محمد إنْ لم أكن استغفر لهما وأترحم عليهما. إنّ أعداء الله لغافلون عنهما.

حدثنا محمد بن عمر بن سالم ثنا عباس بن أحمد بن عقيل ثنا منصور ابن أبي مزاحم حدثني شعبة الخياط مولى جابر الجعفي. قال: قال لي أبو جعفر محمد بن علي لما ودعته: أبلغ أهل الكوفة أني برئ مَنْ تبرأ (هزأ) من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وأرضاهما. حدثنا محمد بن علي بن حبيش ثنا إبراهيم بن شريك ثنا عقبة بن مكرك ثنا يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق عن أبي جعفر محمد بن علي قال: مَنْ لم يعرف فضل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فقد جهل السنة، حدثنا أبو حامد بن جبلة ثنا بن إسحاق السراج ثنا أبو همام ثنا عيسى بن يونس ثنا عبد الملك بن أبي سليمان: قال: سألتُ أبا جعفر محمد بن علي عن قوله عز وجل «إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون»

قال: أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ! قلت: يقولون هو علي ؟ قال علي منهم»

١٧- ينظر طبقات ابن سعد وقد راجعتها في طبعة دار الفكر للطباعة والنشر بيروت بمراجعة سهيل كيالي ط١ سنة ١٩٩٤ مجلد ٤/ ص٨ جاء فيه «قال: أخبرنا الحسن بن موسى قال: حدثنا زهير عن جابر قال: قلتُ لمحمد بن عليّ، أكان منكم أهل البيت أحد يزعم أنّ ذنباً من الذنوب شرك ؟ قال لا، قال قلتُ: أكان منكم أهل البيت يقرّ بالرجعة ؟ قال لا، قلتْ ،أكان منكم أهل البيت أحد يسبّ أبا بكر وعمر ؟ قال: لا فأحبهّما وتولاهما واستغفر لهما »

١٨- الفكر الشيعي المبكر ص ٢٦.

(*) ينظر مجموع الفقه لزيد بن علي نشره جريفيني سنة ١٩١٩ وكتاب الأمالي لأحمد بن عيسى منشور في مجموع الفقه .

(**) يُنظر دعائم الإسلام للقاضي النعمان ولاسيما كتاب الإيضاح الذي يضم أحاديث كثيرة للإمام الباقر عليه السلام .

(***) ينظر الكافي للكليني فجلّ الأحاديث الموجودة فيه هي للباقر وولده الصادق عليهما السلام .

١٩- الفكر الشيعي البكر ص ١٦٥.

٢٠- يُنظر المحاسن والمساوئ للبيهقي .

٢١- لالاني ص ٨١ .

٢٢- المصدر نفسه ص ١٧٦ .

(*) يُنظر المرادي أمالي أحمد بن عيسى ورقة ٢٣٤ .

(**) يُنظر دعائم الإسلام للقاضي النعمان وقد راجعت النص وهو موجود في طبعة دار الأضواء بتحقيق عارف تامر ١/ ١٥٣ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(***) يُنظر الكافي للكليني وقد راجعت النص وهو في المجلد الثاني باب الفروع «عدّةٌ من أصحابنا عن أحمد بن محمد عن الحسين بن سعيد عن فضالة بن أيوب عن أبان عن إسحاق بن عمار قالت سألتُ أبا عبد الله عليه السلام عن المريض هل له رخصة في المسح قال: لا » وجاء عن «علي بن إبراهيم عن أبيه عن حريز عن زرارة قال قلتُ له في مسح الخفين تقية فقال ثلاثة فيهّن أحداً شرب المُسكر ومسح الخُفين ومتعة الحج. قال زرارة: ولم يقل الواجب عليكم ألآ تتقوا فيهن أحداً» الكافي مؤسسة إحياء الكتب الإسلامية مجلد ٢/ ١٨ باب ٢٠ فقرة ١٥٠ و ١٥١ .

٢٣- لالاني ص ١٦٨ .

(*) يُنظر الكافي ١/ ٥٤٤ .

(**) يُنظر الكافي ١/ ٤٠٨، التهذيب ٤/ ١٣٨ و ١٤٣، ١٤٤ .

(***) يُنظر الكافي ١/ ٤٠٨، التهذيب ٤/ ١٤٤ وأيضاً الغيبة للنعماني ٢٣٧.

(****) يُنظر التهذيب ٤/ ١٤١ وانظر مناقب ابن شهر آشوب ٤/ ٣٨٩ .

(*****) يُنظر وسائل الشيعة ٦/ ٣٤٨-٣٤٩ .

٢٤- تطور المباني الفكرية للتشيع ص٢٢ .

٢٥- التشيع والاستشراق الدكتور عبد الجبار ناجي ص٤٠٤ والنص هو:
(Muhammed B.Ali al-Bakir) in Encyclopedia of Islam by Kohlery wall,shiism P.168_169.

٢٦- المائدة ٥٥ .

(*) يُنظر تفسير القمي ١/ ١٧٠ وتفسير التبيان ٣/ ٥٤٩ والطبرسي مجمع البيان ٣/ ٢٠٩ .

٢٧- لالاني ص ٩١.

٢٨- المائدة آية ٣.

(*) يُنظر الكافي وعند مراجعتي للنص وجدته في مجلد ١/ ص١٣٣ باب ٦٤ فقرة ٧٦٤ وتفسير القمي ١/ ١٦٢ وتفسير التبيان ٣/ ٤٣٥ والطبرسي ٢/ ١٥٩ والرازي (الزينة في الكلمات الإسلامية ص٢٥٦ وما بعدها).

٢٩- لالاني ص٩٤.

٣٠- النساء، آية ٥٩ .

(*) يُنظر التبيان للطوسي ٣/ ٢٣٥ والطبرسي ٢/ ٤٦ وتفسير القمي .

٣١- لالاني ص٩٦ .

٣٢-النساء ص ٥٤.

(*) يُنظر لالاني ١/ ٢٠٥-٢٠٦ .

٣٣- لالاني ص٩٧ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣٤- آل عمران آية ٣ .

(*) يُنظر دعائم الإسلام للقاضي النعمان وقد راجعت النص وهو موجود في طبعة دار الأضواء تحقيق عارف تامر ط١ سنة ١٩٩٥ بيروت مجلد ١/ ٥٩ .

٣٥- سورة فاطر ٣٢ .

٣٦- لالاني ص ٩٨ .

٣٧- الشورى آية ٢٣ .

٣٨- سبأ آية ٤٧ .

*ينظر دعائم الإسلام ١/ ٥٥ وقد راجعت النص.

٣٩- لالاني ٩٨-٩٩ .

٤٠- سورة التغابن آية ,٨

٤١- سورة الحديد آية ٢٨.

(*) الكافي للكليني والنص موجود وقد راجعته في طبعة مؤسسة إحياء الكتب الاسلامية مجلد ١/ ٨٨ باب ١٣ فقرة ٥١٨ وفقره ٥١٩ وفقره ٥٢٠ وفقره ٥٢١ وفقره ٥٢٢ وفقره ٥٢٣ والمقصود بالنور الأئمة .

٤٢- الأنعام آية ١٢٢ .

٤٣- ينظر لالاني ص٩٩ .

(*) ينظر الكافي للكليني وعند مراجعتي للنص وجدته في مجلد ١/ ١٣٠ باب ٦٣ فقره ٧٥٤ وفقره ٧٥٥ وفقره ٧٥٦ وفقره ٧٥٧ .

٤٤- الأحزاب آية ٦ .

(*) يُنظر تفسير القمي ٢/ ٢٧٤ .

٤٥- لالاني ص ١٠١ .

٤٦- الأحزاب آية ٣٣ .

(*) يُنظر لالاني ص ١٠١ وتفسير القمي ٢/ ١٩٣ .

٤٧- الاسراء آية ,٧١

٤٨- لالاني ص ١٠٢ ويُنظر الكافي وعند مراجعتي للنص وجدته في ١/ ٩٨ باب ٢٥ فقرة ٥٧٠ وفقرة ٥٧١ .

٤٩- يُنظر حلية الأولياء ص ١٨٠-١٩٢ .

٥٠- يُنظر طبقات ابن سعد ٤/ ٨ .

***

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com